

لقطات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

أ. د. محمد راتب النابلسي*

هنالك مدخل إلى موضوع الإعجاز العلمي مهم جداً، بل في اعتقادي لا يقل أهمية عن الإعجاز نفسه، ذلك أن الإنسان عقل وقلب وجسم، العقل غذاؤه العلم والقلب غذاؤه الحب والجسم غذاؤه الطعام والشراب. إذا لبي الإنسان هذه الاحتياجات معاً تفوق، وإذا لبي واحدة وأهمل اثنتين سقط، وأي إنسان من 6,000 مليون في العالم مجبول على حب الوجود فيه وعلى حب سلامة وكمال واستمرار وجوده. والإنسان يشقى بالجهل، وأعتقد أن أعدى أعداء الإنسان هو الجهل فالجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدو أن يفعله به، بل أن أذمة أهل النار أذمة جهل والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:10].

حاجة الإنسان إلى الدين

شاعت حكمة الله خلق الإنسان ضعيفاً بقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28]. هذا الضعف بالتعبير الدقيق نقطة في أصل خلقه ولصالحه تماماً كالقاطع في الآلات الكهربائية. فالقاطع نقطة وصل ضعيفة فإذا جاء التيار شديداً أدى ذلك إلى انصهار هذه الوصلة عوضاً عن احتراق الآلة. ولو أن الله خلق الإنسان قوياً لاستغنى عن الله فشقي باستغنائه، فخلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره. ومادام قد خلق ضعيفاً فهو بحاجة إلى جهة يعتمد عليها ويحتمي بها تدعمه وتطمئنه. ومن هنا تنطلق الحاجة إلى الدين، وحتى الديانات الأخرى سببها الشعور بالضعف وبحث عن جهة قوية تكون ملاذاً لهذا الإنسان. أما الذين هداهم الله إلى الدين الحقيقي فهو لاء أكرمهم الله بشكل كبير لأنهم عرفوا الإله الحقيقي. فهناك من يعبد البقر والحجر والجرذان وموج البحر والشمس وغيرها. وأي حاجة لقوي وراءها ضعف الإنسان، فالحكمة البالغة أن خلق الله الإنسان ضعيفاً ليفتقر بضعفه فيسعد بافتقاره، ولو خلق الإنسان قوياً لاستغنى بقوته وشقي باستغنائه.

تثبت الله عز وجل مليارات القوانين، ولكنه لحكمة بالغة حرك قانوني الصحة والرزق لكي يكون هذين القانونين غير الثباتين أحد أكبر الوسائل في تربية الإنسان. فالإنسان خلق ضعيفاً، خلق عجولاً، وخلق هلوياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [19] إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا [20] وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [21] ﴿ [المعارج:19-21].

جاء الإنسان إلى الدنيا ولديه آلاف الأسئلة: لماذا الموت؟ لماذا الفقر؟ لماذا المرض؟ لماذا القهر، الألم، الحزن، ... كان من الممكن أن تكون الدنيا مسرات للقلوب، ولكن شاعت حكمة الله أن يكون في الدنيا غنى وفقير، قوة وضعف. هذا الوضع في الدنيا تمهيد لسعادة أبدية، لذلك يمكن أن نقول أن البشر على اختلاف مللهم، نحلهم، انتمائهم، تياراتهم، طوائفهم، أنسابهم وأعرافهم يندرجون في زمرتين:

- الأولى أمنت أنها مخلوقة للجنة فانتقت أن تعصي الله وبنيت حياتها على العطاء بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [5] - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى [6] ﴿ [الليل:5-6].

*ألقيت هذه المحاضرة في إطار برنامج السنة الثالثة من محاضرات الجمعية في المركز الثقافي العربي في كفرسوسة بتاريخ 2009/5/19. قام بكتابة وإعداد المحاضرة الأستاذة أماني النبهاني.

- الثانية أيقنت بالدنيا وكفرت بالأخرة فاستغنت عن طاعة الله وبنيت حياتها على الأخذ بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [8] وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [9] ﴿[الليل:8-9].

لذلك هنالك في الأرض أنبياء وأقوياء، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا والأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء ملكوا القلوب والأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء يُمدحون في غيبتهم والأقوياء يُمدحون في حضرتهم، الأنبياء عاشوا للناس والأقوياء عاشوا للناس لهم، لذلك الناس إما أن يتبعوا لقوي أو نبي.

والميزان أثنى عطاء إلهي، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:7] إلا أن المشكلة أن الخطأ في الميزان لا يصحح وأن الخطأ بالوزن لا يتكرر. والخطأ في التصور والعقيدة والمنطقات هو خطأ بالميزان، فالبطولة أن أصحح تصوري، أي أن الله تعالى أكرم الإنسان بمنهج، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:123] و ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38] لنجمع الآيتين: من يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت.

مكانة الإعجاز العلمي

والحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط هي: خط النقل الصحيح، خط العقل الصريح، خط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي. فالله هو الحق والحق كمنهج ما جاء به النقل الصحيح وقبله العقل الصريح وارتاحت له الفطرة السليمة وأكدته الواقع الموضوعي. هذه كلها مقدمات من أجل أن نصل إلى مكانة الإعجاز العلمي.

فالله عز وجل خلق الإنسان، هو الأول، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب:72] وهو المخلوق المكرم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:70] وهو المخلوق المكلف بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56] والعبادة طاعة طوعية مزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تقضي إلى سعادة أبدية، في كلية معرفية هي السبب وفي كلية سلوكية هي الأصل وفي كلية جمالية هي النتيجة، وهذه العبادة هي علة وجودنا. لنفرض أن طالباً ذهب إلى باريس لينال شهادة الدكتوراه، فعلة وجوده في هذه المدينة شيء واحد هو نيل الشهادة. فإذا عرف علة وجوده فإنه يستأجر بيتاً إلى جانب الجامعة بذلك يوفر الوقت والجهد والمال ويرافق إنساناً يتقن الفرنسية يعينه على التكلم بالفرنسية، ويشترى مجلات لها علاقة باختصاصه ويتناول طعاماً يتناسب مع دراسته. عندما يعرف الإنسان الهدف تأتي كل جزئيات حياته لخدمة الهدف، والمشكلة الأولى أن معظم الناس لا يعرفون سر وجودهم، لذلك يظن بعض الناس أن المال كل شيء فيبيع دينه بعرض من الدنيا قليل وعلى مشارف الموت يكتشف أنه كان مخطئاً، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [103] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [104] ﴿[الكهف:103-104]. وأخطر شيء أن يمشي الإنسان في طريق مسدود، فلذلك تثبت الله القوانين وحرك قانوني الرزق والصحة من أجل أن يؤدبنا بهاتين النقطتين.

حينما خلق الله عباده للجنة خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض وأعطاهم الكون، الكون قرآن صامت والقرآن كون ناطق والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي. كل ما في الكون ينبض بوجود الله ووحدانيته وكماله، وهذا الكون يجسد أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، وهذا الكون مظهر لكمالات الله عز وجل، فهو الثابت الأول. فإذا جلست بمجلس وأمامك مشارب متنوعة وانتمايات متباينة وحدثتهم عن الكون فإنك تتحدث عن قاسم مشترك مثل الشمس والقمر والنجوم بالإضافة إلى الكثير من أسرار الخلق المذهلة، فالكون أحد أكبر المقومات، والعقل جهاز استشاري مبادئه ثلاثة: السببية والغائية وعدم التناقض.

والفطرة مقياس نفسي، حيث يكشف الإنسان خطاه بذاته. بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [7] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [8] ﴿ الشمس: 7-8. وهناك الشهوة، وهي قوة دافعة تقود الإنسان إلى مسافات بعيدة. فإما أن تكون قوة دافعة أو مدمرة، فهي إما أن تكون سلماً نرقى بها أو دركات نهوي بها.

أصبح لدينا الكون وهو مظهر لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلى، والعقل أداة معرفة، والفطرة أداة لكشف الخطأ النفسي، والشهوة قوة دافعة والحرية تتمن العمل، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]. والوقت وعاء العمل، الآن حينما يعلم الله انحرافاً من عباده وغفلة عن آخرتهم يزودهم بأنبياء ورسول، يأتي إنسان ويقول أنا رسول الله، معه منهج لذلك فهو لا يروق لمن تقلت عن منهج الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: 43]. والسؤال: كيف يشهد الله بأنبيائه ورسوله أنهم أنبياءه؟ لا بد أن يجري على أيديهم خلقاً للنواميس. فالعصا أصبحت ثعباناً عند سيدنا موسى والنار لم تحرق سيدنا إبراهيم وهكذا. معجزات الأنبياء حسية كتألق عود الثقاب، تألقت مرة وانطفأت، أصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه، ولكن لأن النبي الكريم لآخر الزمان في نهاية الحياة وكتابه خاتم الكتب ولجميع الأمم والشعوب كان لا بد من أن تكون معجزته مستمرة لذلك كان الإعجاز العلمي.

الإعجاز العلمي في الكون

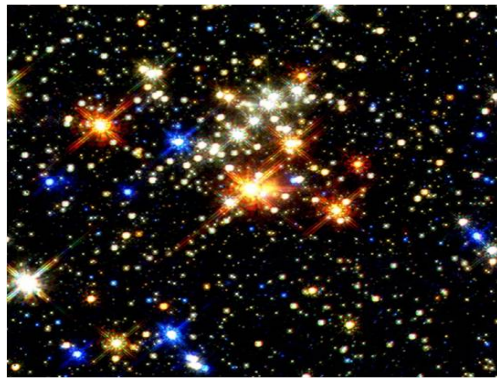
الظلام في الفضاء الخارجي



عندما اجتاز رائد الفضاء طبقة الهواء وأصبح على ارتفاع 100 كيلومتراً وانعدم انتشار الضوء صاح بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، تأتي آية قرآنية (ونعلم أن القرآن نزل قبل 1400 عام) تقول: ﴿لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [14] لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ [15] ﴿ [الحجر: 14-15].

مواقع النجوم

تبلغ المسافة بين الأرض وأقرب نجم ملتهب عدا الشمس حوالي 4 سنوات ضوئية. لو كان هنالك طريق وأردنا الوصول إليه بسيارة أرضية تمشي بسرعة 100 كم/ساعة فإننا نحتاج إلى 50 مليون عام، أي نحتاج إلى 50 مليون عام من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب، فكيف هو الحال مع الأجرام الأبعد مثل نجم القطب الذي يبعد 4,000 سنة ضوئية ومجرة المرأة المسلسلة التي تبعد 2.2 مليون سنة ضوئية وأبعد النجوم التي تم اكتشافها على بعد 13 مليار سنة ضوئية؟ الآن لنقرأ القرآن، يقول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [75] وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [76] ﴿ [الواقعة: 75-76] وأنا أتصور لو قرأ عالم فلك الآية وتوقف عند كلمة مواقع لخرّ لله ساجداً.

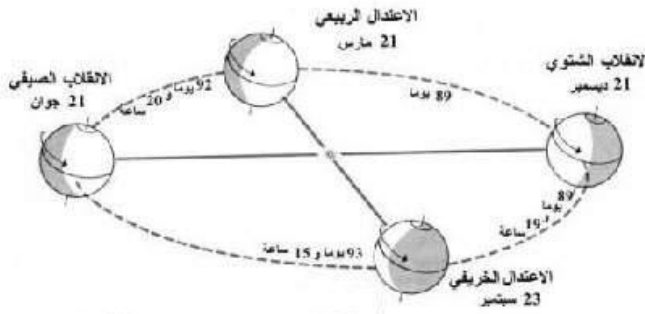


تبعد أبعد النجوم عنا حوالي 13 مليار سنة ضوئية. وإذا أطلق هذا النجم ضوءاً فإن عليه أن يجتاز 13 مليار سنة حتى يصل إلينا، مع العلم بأن هذا النجم يتحرك في الفضاء وليس ثابتاً في مكانه. أي أنه كان في هذا الموقع قبل 13 مليار سنة وليس الآن. ولكن أين هو الآن؟ فما نراه الآن ليس النجم وإنما موقع النجم. وكلمة «موقع» تعني أن صاحب الموقع ليس بالموقع، لو أضفنا للآية افتراضاً فلا أقسم بالمسافات بين النجوم لما كان قرآناً. وحتى الشمس ينطبق عليها ذلك. فنحن حين نرى الشمس قد غابت تكون قد غابت قبل 8 دقائق لأن ضوءها يحتاج إلى 8 دقائق حتى يصل إلينا.

يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:1]. أحد هذه البروج برج العقرب، وفي هذا البرج نجم متألق بلون أحمر يسمى قلب العقرب، وهو نجم عملاق يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما (مع العلم بأن المسافة بين الأرض والشمس تساوي حوالي 156 مليون كيلومتر والشمس تكبر الأرض بـ 1,300,000 مرة). هذا الإله العظيم ألا يُخطب وده؟ ألا تُرجي جنته؟ ألا تُخشى ناره؟ يقول الشافعي:

تَعْصِي الإله وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ
هذا محالٌ في القياس بديعٌ
إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

ميلان محور الأرض



تدور الأرض حول الشمس. ولو أنها لا تدور لانتهت الحياة، ولوصلت درجات الحرارة على إحدى وجهي الأرض إلى 350 فوق الصفر ولانخفضت على الوجه الآخر إلى 270 درجة تحت الصفر. ولو أن الأرض كانت تدور حول محور يتجه نحو الشمس فستكون كأنها واقفة: نهار أبدي في جهة وليل أبدي في الجهة الأخرى. ولو أنها تدور على محور عمودي على مستوي دورانها لما كانت هناك فصول. لولا دورانها حول محور مائل لما كان هنالك فصول.

قانون الجاذبية

تدور الأرض حول الشمس في مدار بيضوي الشكل ولها بعدين صغير وطويل. حين تصل الأرض إلى البعد الأصغر قلت المسافة وازدادت الجاذبية (قانون الجاذبية يتعلق بالكتلة والمسافة). هذا يعني أنه يوجد احتمال أن تنجذب الأرض إلى الشمس، وإذا انجذبت تتبخر في ثانية واحدة. ومع أن الأرض غير عاقلة إلا أنها ترفع سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة فتبقى على مسارها. ولو أن هذه السرعة استمرت وانتقلت الأرض إلى البعد الأكبر حينها تصبح القوة النابذة أكبر من القوة الجاذبة مما يؤدي إلى تسلسها وخروجها عن مسارها، فلو أنها تسلت ما الذي يرجعها؟ يقول العلماء بأن سحب الأرض يحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي قطر الحبل الواحد 5 أمتار، حبل بقطر 5 أمتار يعني أنه يقاوم مليوني طن، معنى ذلك أن الأرض مرتبطة بالشمس بقوة تساوي (مليون مليون × مليوني طن) من أجل أن تحرفها 3 ملم/ثانية في سيرها حول الشمس حتى ينشأ مسار مغلق، فلو لم تحرف لأصبح مسارها مستقيماً. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر:41]، ومعنى الزوال الانحراف وزوال الشمس هو انحرافها عن كبد السماء، فإذا زادت انحرافاً زالت وجوداً وانعدمت فيها الحياة.

لو زرنا على هذه الأرض مليون مليون حبل على الوجه المقابل للشمس، فإن المفاجأة هي أنه لن يبقى بين كل حبلين إلا مسافة حبل واحد، بين كل حبلين خمسة أمتار وقطر كل حبل خمسة أمتار، وأصبحنا أمام غابة من الحبال الفولاذية، ولا يوجد طيران ولا زراعة ولا بناء ولا بحار. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:2]. فالإعجاز ليست قضية معلومات دقيقة وإنما قضية معلومات بديهية صارخة لأن الإعجاز يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله.

سرعة الضوء

عرض في مؤتمر الإعجاز العلمي الخامس في موسكو موضوع حول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:47]. يعتمد العرب السنة القمرية، حيث يدور القمر حول الأرض دورة كل شهر. إذا وصلنا بين مركز الأرض ومركز

القمر بخط فيكون هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض. إذا ضربنا بـ 2 يصبح لدينا قطر كامل، وإذا ضربنا بـ 3.14 نحصل على المحيط وهي المسافة التي يقطعها القمر بدورانه حول الأرض خلال شهر واحد. إذا ضربنا بـ 12 نحصل على المسافة التي يقطعها القمر خلال سنة، وإذا ضربناها بـ 1000 ينتج لدينا ما يقطعها القمر في دورانه في ألف عام. لو فكرنا أن نقسم هذا الرقم على ثواني اليوم (24×60×60 ثانية) لوجدنا أن هذه القيمة تساوي سرعة الضوء المطلقة (299.795)، أي أن ما يقطعها القمر في رحلته حول الأرض خلال ألف عام يقطعها الضوء خلال يوم واحد. لقد طرحت نظرية أينشتاين حول النسبية التي قلبت مفاهيم الفيزياء وأكدت السرعة المطلقة للضوء في بداية القرن العشرين، وتقول إنه إذا تحرك شيء بسرعة الضوء توقف الزمن، وإذا سبقنا الضوء تراجع الزمن، وإذا قصرنا عن الضوء تراخى الزمن. فكيف تتطوي هذه النظرية العملاقة في بضعة كلمات من القرآن الكريم؟

فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان



عرضت وكالة الفضاء ناسا على الإنترنت صورة لوردة جورية كُتبت تحتها: سديم عين القط. إنه نجم منفجر يبعد عنا 3,000 سنة ضوئية. عندما نفتح القرآن نجد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ [37] فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [38]﴾ [الرحمن: 37-38].

إن إعجاز القرآن هو أحد أكبر الأدلة أنه كلام الله. إعجاز القرآن يعني أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن. وأصدقكم القول أنه لا يوجد مادة يمكن أن تسكت الطرف الآخر ويخضع ويستسلم لها الطرف الآخر كهذه المادة لأن

العالم يؤمن بالعلم الآن، وكلما تقدم العلم أثبت أن الشرع هو الصحيح، لذلك قال تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: 53] بكل معاني هذه الآية.

نذكر على سبيل المثال القصة التالية. دخل بروفيسور كبير في لندن على طلابه وأخبرهم بتكبير بأنه كشف شيئاً لم يسبقه إليه أحد، فسأله طالب باكستاني ما هذا الشيء؟ فقال: كنا نظن إلى الآن أن اللحم يخلق قبل العظام ولكنني اكتشفت أن العظام تخلق أولاً ومن ثم اللحم ثانياً. فرفع الطالب يده فقال إنها موجودة بالقرآن الكريم: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14] فصعق البروفيسور.

الإعجاز العلمي في الحشرات



لنأخذ البعوضة مثلاً على الحشرات. بعد أن تم اكتشاف المجهر تمت دراسة البعوضة بواسطة. وكانت المفاجأة هي أن في رأسها 100 عينا وفي فمها 48 سنناً وفي خرطومها 6 سكاكين (4 سكاكين تشكل مربعاً لشق الجرح وسكينان تلتئمان بشكل أنبوب لامتصاص للدم)، وفي صدرها 3 قلوب (قلب مركزي وقلب لكل جناح وفي كل قلب أدينان وبطينان ودسامان)، ووزنها 0.001 غ.

تملك البعوضة جهازاً لا تمتلكه الطائرات الحديثة، وهذا الجهاز هو جهاز استقبال حراري (فالبعوضة ترى الأشياء لا بألوانها ولا بأحجامها ولا بأشكالها وإنما بحرارتها)، وحساسية هذا الجهاز 0.001 درجة مئوية.

كما أن لديها جهازاً لتحليل الدم وجهازاً للتخدير وجهازاً لتجميع للدم، وفي أرجلها مخالب إذا وقفت على سطح خشن ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس. لنقرأ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]. هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي.

الإعجاز العلمي في الإنسان

منعكس المص

يولد الإنسان كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]. هناك شيء يسمى منعكس المص ولو لا هذا المنعكس لما كان هنالك إنسان. وحين يولد الطفل يولد معه منعكس المص، وهي آلية معقدة جداً. فما أن تقرب أصبعك من فم الطفل فإنها يمصها فوراً. هل هناك قوة في الأرض تعلم الطفل كيف يمص ثدي أمه؟! فالله عز وجل زود الطفل بمنعكس المص ليتمكن من البقاء على قيد الحياة.

القلب وثقب بوتال

عندما يكون الجنين في بطن أمه تكون رئته معطلة لعدم وجود الهواء. وقد فتح الله ثقباً بين الأذنين كشفه عالم فرنسي اسمه بوتال بحيث يمرر الدم من أذين إلى أذين. عندما يولد الطفل ينغلق هذا الثقب بشكل عفوي. ومن بين كل 500,000 طفلاً يبقى هذا الثقب مفتوحاً. وفي بعض الحالات تؤدي هذه الفتحة إلى ازرقاق الطفل ويمكن أن تؤدي إلى الوفاة إذا لم يتم إغلاق الثقب من خلال عملية جراحية.

لسان المزمار

عندما تكون غارقاً في النوم ويكثر اللعاب في فمك تذهب رسالة إلى الدماغ لتقول بأن اللعاب قد ازداد، فيأتي أمر من الدماغ لسان المزمار بفتح المري وبإغلاق القصبة الهوائية. تتكرر هذه العملية في الليل عشرات المرات دون أن تشعر.

تفاضل وصول الصوت

حين تمشي في الطريق تسمع بوق سيارة. يدخل الصوت إلى إحدى الأذنين قبل الأخرى بفاصل 1/1620 جزء من الثانية. ومن يصدق أن هناك جهازاً بالغ التعقيد في الدماغ يحسب تفاضل وصول الصوتين للأذنين ويكشف جهة الصوت.

جهاز الهضم

يولد الطفل وفي جسده كمية من الحديد تكفيه لمدة عامين مودعة في الطحال لأن حليب الأم لا يحتوي على الحديد. ويولد الطفل وكل جهازه الهضمي مغلق بالشحم الأسود حتى يحافظ على شكله الأنبوبي ولا يصبح شريطاً. وفي أول يومين أو ثلاثة بعد الولادة لا يفرز ثدي الأم الحليب العادي وإنما مادة حليبية شحمية تذيب هذا الشحم.

المشيمة: الغشاء العاقل

المشيمة قرص لحمي تجتمع فيها دورة دم الأم ودورة دم الجنين، ومن بديهيات الطب أنه إذا تلقى شخص ما دماً من غير زمرة فإنه يموت فوراً بانحلال الدم. إلا أنه في المشيمة تجتمع دورة دم الأم والجنين ولا يختلطان، ويفصل بينهما غشاء سماه الأطباء بالغشاء العاقل لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء: يأخذ الأوكسجين من دم الأم ويضعه في دم الجنين ليقوم مقام جهاز التنفس، ويأخذ السكر من دم الأم ويضعه في دم الجنين ليقوم مقام البنكرياس. وهكذا أصبح في دم الجنين سكر وأوكسجين وأنسولين تحترق وتولد الحرارة لتصبح حرارة الجنين 37 درجة. كما أن هذا الغشاء يأخذ عوامل المناعة من الأم ويضعها في دم الجنين. فجميع الأمراض التي أصيبت بها الأم تحصن منها، كما أنه يأخذ فضلات الجنين مثل غاز الفحم وينقلها إلى دم الأم، فجزء من نفس الأم هو نفس جنينها. لو ترك هذا الغشاء لأطباء الأرض مجتمعين لمات الجنين في ساعة واحدة، كما يعرف هذا الغشاء حاجة الجنين لكل المواد من دسم وشحوم وبروتينات وفيتامينات ومعادن وأشبه المعادن وغيرها، حيث تتغير النسب كل ساعة تقريباً. لكن عندما يكون

هنالك نقص في دم الأم ببعض المواد فكيف يستطيع الطفل الحصول على حاجته وهو مضطر لهذه المادة؟ شهوة الأم أثناء الحمل هي حاجة الجنين. صنع من وقدره من وحكمة من وعظمة من؟ يقول تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:21].

مثال على الإعجاز العلمي في السنة

أمر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأن لا يُقطع رأس الدابة حين ذبحها. في كل بلاد العالم يعلقون الدابة من رجليها ويقطعون رأسها كلياً، إلا أن المسلمين يقطعون أوداجها فقط امتثالاً لأمر النبي الكريم. لم يكن هناك في عهد النبي مركز علمي في الأرض قادر على التفسير. ولكن قبل عقدين تم تفسير الأمر كالتالي.

ينبض القلب بأمر ذاتي وعلى نبضه تتوقف حياة الإنسان. وقد جهز الله القلب بمركز كهربائي يمد القلب بأمر النبض. لكن هذا المركز يمد القلب بـ 80 نبضة في الدقيقة فقط، وإذا تعطل يعمل مركز احتياطي ثاني. إذا تعطل الثاني يعمل مركز احتياطي ثالث. عندما يواجه الإنسان خطراً ينبض قلبه بمعدل 140 نبضة بالدقيقة، وهناك آلية معقدة ليحصل هذا الأمر. مثلاً إذا رأى أحد الأشخاص وهو في الطريق ثعباناً ينطبع هذا الشكل على شبكية العين وتنتقل الصورة إلى الدماغ وتقرأ في ملف الثعابين (مأخوذ من معلومات سمعها أو درسها أو قرأ عنها). هذا الملف يقرأ الصورة فيبلغ الدماغ بالخطر فيتصل بالغدة النخامية وهي غدة تفرز 9 هرمونات كل هرمون تتوقف عليه حياة الإنسان، ومنها هرمون يحث الكظر على مواجهة الخطر. يعطي الكظر بدوره خمسة أوامر: أمر للقلب يرفع فيه النبض إلى 140 نبضة، وأمر للثنتين كي يزداد وجيهما، وأمر لتضييق الأوعية الدموية لتوفير الدم للعضلات فيصفر لونه، وأمر للكبد لإطلاق سكر إضافي وهرمون التجلط، كل هذا يتم بثواني وهنا نصل إلى السؤال، ما مهمة القلب بالدابة بعد الذبح؟

مهمته إفراغ الدم كله: بـ 80 نبضة يفرغ ربع الدم وبـ 140 نبضة يخرج الدم كله. فإذا قطعنا رأس الدابة عطلنا الأمر الاستثنائي للغدة النخامية (العين - الدماغ - الغدة النخامية - الكظر - القلب) فيتعطل القلب لذلك. وفي كل مسالخ العالم التي يقطعون فيها رأس الدابة كاملاً يكون جسمها أزرق اللون، لذلك أمرنا رسول الله بإبقاء رأس الدابة موصولاً حتى يبقى الأمر الاستثنائي برفع النبض إلى 140 فعلاً. ولذلك كل دابة مذبوحة وفق الشريعة الإسلامية تكون زهرية اللون، فتوجيهات النبي الكريم ليست من خبرته ولا من ثقافته ولا من معطيات عصره وإنما هي وحي يوحى.

خاتمة

أتمنى أخيراً أن نعرف كما أن الإعجاز العلمي أكبر داعم للدين، أنا أرى - ولا تتهموني بأني أقسو - بأن الإعجاز نفسه قد يكون أكبر معول لتهديم الدين، لأنه عندما يأتي إنسان ويلتقط مقولة علمية (ولا أقول حقيقة علمية) ويربطها بأية قرآنية ربطاً سريعاً متكلفاً - والآية غنية بالدلالة - يكون قد قدم هدية ثمينة للطرف الآخر. وهكذا يأخذ الطرف الآخر هذه القضية وينقض المقولة العلمية وينقض معها القرآن. وأكثر المواقع بالإنترنت التي تهجم ديننا تعتمد على إعجاز علمي متسرع. ولذلك فإن منهج الإعجاز هو أن تكون القضية العلمية حقيقة مقطوعاً بصحتها ولا يختلف عليها اثنان بالأرض (مثل المعادن تتمدد بالحرارة) وأن تكون الآية قطعية الدلالة محكمة وأن يكون التطابق عفوياً وتاماً، وعندئذ ندرج هذه المقولة مع الآية بالإعجاز العلمي، وإلا فهناك خطراً كبيراً جداً من أن يتحول الإعجاز إلى أداة لهدم الدين.

